نور ونار

في رثاء الشهيد
أبي مصعب الزرقاوي (يرحمه الله)

الشيخ أبو يحيى الليبـي (يحفظه الله)

جمادى الأولى 1427 هجري
06 / 2006 ميلادي

السّحاب للإنتاج الإعلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله معـز الإسـلام بنصـره، ومـذل الشـرك بقهـره، ومصرف الأمور بأمره، ومستدرج الكافرين بمكره، الـذي قدر الأيام دولاً بعدله، والصلاة والسلام علـى مـن أعلـى اللـه منـار الإسـلام بسيفه، وهشـم أنـف الإسـلام السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فاليوم الشيخ أبو يحيى من أسود الإسلام، واستشهد بطل من أبطال التوحيد، فمضى بذلك أحد مسعري الحروب، فالق هامات الروم، الصارم المسلول على أعداء الـدين القائـد المجاهـد أبـو مصـعب الزرقـاوي ــ رحمـه اللـه تعـالى، فطـويت بـذلك صـفحة مشـرقة مـن صـفحات التاريـخ المعاصر، والـتي سـجلت أسـطرها بمـداد الـدم وخطـت كلماتها بنور العزم ودبجت أحرفها بلآلئ الإيمان.

نعم! قتل الشيخ أبو مصـعب الزرقـاوي، قتـل كمـا يقتـل الرجال في ساحات الوغى، ومضى كما يمضـي البواسـل بين قـراع الصـوارم، فـودع الـدنيا مهـاجراً مجاهـداً ثابتـاً مستيقناً، لـم تملـه عواصـف المحـن أو تكسـره صـوارف الزمــن، فلطالمــا خــاض المعــامع غيــر هيــاب، وتقحــم

المخاطر دون تردد أو ارتياب، فكم طارد الموت في كل موطن، وقرع أبوابه في كل محفل، فلم يزل يطلبه ويسعى له حتى نال شرف الممات كما اكتسى قبله ثياب العزة والشهامة في الحياة،

يُلقي على الساحات من دمه دما
ليقول يا دنيا أطلي واشهدي
فهنا ميادين الجهاد نمدها
دفقا بأمواج الدم المتجدد
وهنا رباط المؤمنين وساحة
لجهادهم أو آية للمهتدي

وإنه لخليق - وحق له أن يكون كذلك - لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من خير معاش الناس لهم رجل آخذ بعِنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)

وكأني به وهو يجوب ساحات الجهاد، ويخوض غمرات الجلاد، وهو في لهف يوم الاستشهاد يصرخ في الآفاق بقوله وفعله،

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق
وإما ممات يغيظ العدا

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي ليثبت بالبرهان القاطع أن الكلمات النيرات التي كان يبعثها لأمته ويقتطعها صدقاً وإخلاصاً من صميم قلبه لم تكن مجرد دعاوى فارغة أو عبارات مزخرفة أو خطب رنانة، وإنما كانت منهجاً وعقيدة ومبدءً تسفك من أجله الدماء وتتطاير لإحيائه الأشلاء وتوهب لإعلائه الحياة، فلم يكتف

بأن يكون دليل صدقه جهده وعرقه سهره حتى جعل مسك ختامه روحه ودمه، ليقول للعالم كله إن عقيدتي وديني ومنهجي أغلى وأعلى من كل شيء حتى ولو كانت نفسي التي بين جنبي، والبينة ما رأيتم وعاينتم لا ما سمعتم وخُبرتم.

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، ولكن هل يفقه أعداؤه الذين صفقوا لموته أنهم قد قدموا له أعظم أمنية وأشرف هدية وأسمى غاية كان يطلبها: إنها الشهادة في سبيل الله، وهل بعد الشهادة مطلب، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ(169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(170)} آل عمران.

ولما رأوا بعض الشهادة مذلة
عليهم وعز الموت غير مجرم
أبوا أن يذوقوا العيش والذم واقع
عليه وماتوا ميتة لم تذمم
ولا عجب للأسد إن ظفرت بها
كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى
وحتف علي في حسام ابن ملجم

نعم! قتل الشيخ أبو مصعب الزرقاوي، ولكن كلماته لم تمت، وفكره لم ينبتر، كيف؟ وحب الجهاد والاستشهاد والتضحية الذي زرعه في قلوب الشباب لم يزل ينمو ويزهو ويخضر ويثمر حتى صار الاستشهاديون شباباً وشيوخاً رجالاً ونساءً صفوفاً تترى وشعارهم:
سأثأر لكن لرب ودين

وأمضي على سنتي في يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام
وإما إلى الله في الخالدين

ومن هنا فإني أقول لقد أحسنت العزاء لأمة الإسلام يا وغد العراق ـ نوري المالكي ـ حينما قدمت الخبر بقولك: إلى كل الزرقاويين، فها أنت قد علمت أن وراء الزرقاوي زرقاويين لم يموتوا، فكرهم فكره، وعقيدتهم عقيدته، وطريقهم طريقه، لن يغيروا ولن يبدلوا، سبيلهم الجهاد، وزادهم الصبر، ودافعهم الشوق للجنات،

لئن غاب عنا أبو مصعب
فإن جيوش الهدى لم تغب
ستمضي بعزم على نهجه
تشق ظلام العدا كالشهب

فليعلم عبدة الصليب، وسلائل الخيانة، ورُضع النذالة، وعملاء اليهود الذين تبجحوا بمشاركتهم في مقتل الشيخ أن انتفاشتهم لن تطول، وأن نقمات المجاهدين ستتوالى عليهم صواعقَ يتبع بعضها بعضاً، وأن الثأر لكل قطرة زكية من دم القائد المجاهد سيكون باهظاً وثقيلاً وعاجلاً، وأن هذه المفاخرة التي قرت بها أعين أسيادكم الكفرة ستكون لعنات مُرة تعضون عليها أصابع الندم فانتظروا إنا منتظرون.

فيا أمة الإسلام، ها هو أحد أبنائك البررة الأوفياء، الذين صدقوا في الانتماء إليك والغيرة عليك والحرص على عزتك وعلو شأنك، قد قدم حياته ثمناً لرفعة دينك وتمكين شريعتك وتخليصك من ذل العبودية والتبعية للعبيد، فلتكوني وفية له بالمضي على طريقه،

والاستمرار في دعم أصحابه وأنصاره بالنفس والمال والدعاء، ولتعلمي أن الشيخ أبا مصعب ـ رحمه الله، ما قتل طالباً عرضاً من الدنيا، ولا حرصاً على متاعها، ولا تكالباً على زهراتها، فنفسه وهمته أسمى من أن تهبط إلى هذا الحضيض الوضيع، وهو الذي تنفس نسائم العز في ساحات الوغى، وعرف بحق عزة المؤمن بدينه وعقيدته فلم يبغ بها بدلاً، فسلك هذا السبيل صابراً مجتهداً يذلل الصعاب ويكسر القيود حتى بوأه الله تلك المنزلة السامية.

مازال يسعى إلى أن قال حاسده
له طريق إلى العلياء مختصر

أما أنتم أيها المجاهدون الصابرون الصابرون، فأحسن الله عزاءكم، ولتعلموا إخوتي الأحبة أن هذا الدين: دين الله، وقد تكفل بحفظه وتوفل أشهر بقائه، وما استشهاد الشيخ المجاهد إلا حلقة من حلقات الابتلاء التي يختبر الله بها المؤمنين، ليظهر لوكتهم عليه، وتمسكهم به، وثباتهم على دينه، {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ(166) وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ...(167)} آل عمران.

فالله الله في جهادكم، والله الله في ثباتكم، والله الله في دماء إخوانكم، ولتعلموا إخوتي الأحبة أن أعظم وفاء لهم - بل لا وفاء إلا به - هو الثبات على طريقهم والاستمساك بمنهجهم الذي قتلوا فيه وضحوا من أجله، وإياكم وبنيات الطريق، فلقد تركتم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(

200)} آل عمران، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.